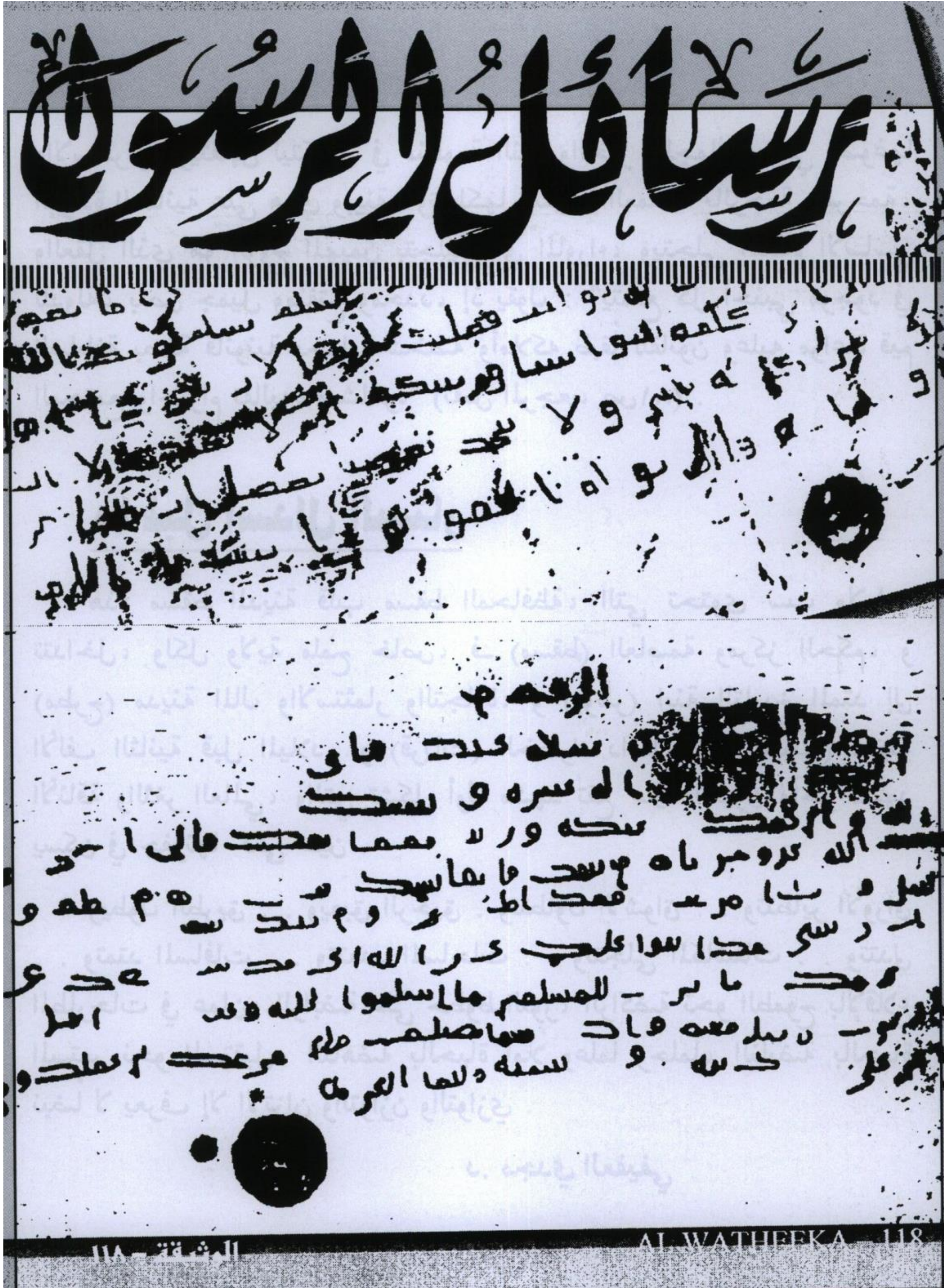


رسائل الرسول


إلى البحرين

بقلم الدكتور
علي أباحسين

رسائل الرسول

إلى البحرين

بقلم الدكتور علي أبا حسين

لقد أولى كثير من المؤرخين وعلماء الحديث والسير والأدب اهتماماً لدراسة وتحقيق الرسائل التي أرسلها الرسول صلي الله عليه وسلم إلى ملوك وأمراء وأهل عصره فلم يعد هناك أي شك في صحة الكتابة من قبله صلي الله عليه وسلم والوفادات التي أرسلها لهم. أما من يتحفظ على صحة الوفادات النبوية فإنهم لم يتحققوا من دراسة ما كتب حول هذا الموضوع في كتب (الحديث) الموثق. ففي باب الجهاد ما أخرجه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم كتب إلى كسرى الفرس وإلى قيصر الروم وإلى نجاشى الحبشة وإلى كبار جبار يدعوهم إلى عبادة الله تعالى[1].

وتجمع كتب الحديث على ذكر خبر الرسائل والخاتم والوفادة ومثل ذلك أوردت ذكرها كتب (السير والتاريخ والأدب)[2].

وأن الذين لا يؤكدون ما ورد في كتب الحديث والسير والتاريخ من أخبار الوفادات فهم طائفة من المستشرقين ومنهم ميور وكايتناي ومرجليوت[3]، بينما أكد أخرون صحة الوفادات مثل أرنولد[4] ونولدكه[5]. أما أولئك الذين لا يؤمنون بالدعوة الإسلامية كدعوة عالمية ويجعلونها خاصة بالعرب أو سكان الجزيرة العربية كبعض المستشرقين، فهم ينكرون صحة الوفادات خاصة وهم ينظرون إلى القوة العسكرية للرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين الأوائل دون النظر إلى قوة العقيدة وهي عقيدة التوحيد التي هي أقوي حضارياً من العقائد المعاصرة التي يسودها الشرك وأن الرسول صلي الله عليه وسلم كان يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة ويرسل الرسائل والدعاة قبل أن يلجأ إلى التحدي السياسي والعسكري.

كما بشر الله عز وجل نبيه بالفتح المبين وكتب صلي الله عليه وسلم رسالة إلى شيخ اليمامة أو إلى المنذر بن ساوي حاكم البحرين يقول فيها:" واعم أن ديني سيظهر إلى منتهي الخف والحافر". وهذه دلالة على أن خطة حكيمة نهج عليها رسول الله صلى الله علية وسلم مستمدة من الوحي الذي تلقاه من ربه ومن إيمانه بالعقيدة الإسلامية القويمة.وجدير بالذكر فإن ابن هشام في السيرة النبوية اختصر ما كتبه ابن إسحق ولم يهمل ذكر الرسائل بل أورد ذكرها في موضعين[6].

وإذا علمنا بأن الدول التي كانت لها السيطرة قبيل الإسلام هي إمبراطورية الروم والفرس واللتان ضعفتا نتيجة الحروب التي أنهكتهما والصراعات الداخلية والانقسامات المذهبية والعنصرية وغيرها فحل بهما الهرم وإذا حل الهرم في أمه فإنه لا يزول إلا بزوالها[7].

أما من يقول كيف تعلم موفدو رسول الله صلى الله عليه وسلم لغة القوم الذين أرسلوا إليهم فالجواب بأنه صلي الله عليه وسلم كان يختار ممن عرفوا اللغات خاصة وأن العرب كانوا يختلطون مع الأمم الأخرى فمنهم من عرف لغتهم[8].

خلاصة القول بأن إرسال الرسائل سواء كانت إلى المنذر بن ساوي أو غيره مسلم به تاريخياً ولا يحتمل أي شك.

وكتب رسول الله صلي الله علبة وسلم رسائل إلى كل من (شبيب بن قرة) و(وصحار بن العباس) و(الشمرخ بن خان السعدي) من وفد عبد القيس(9) وختم رسول الله صلي الله عليه وسلم رسائله بخاتمه الذي اتخذه بعد مشورة تلقاها عندما أراد إرسال الرسائل النبوية إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام فقد قيل (يا رسول الله إن الملوك لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً ولهذا فقد اتخذ صلى الله عليه وسلم خاتماً مستديراً من فضة، فصة منه ونقشه ثلاثة أسطر (محمد رسول الله) وجاءت كلمة (الله) في أعلى دائرة الختم وفي الوسط كلمة (الرسول) وفي الأسفل كلمة (محمد). وقد بقي خاتم النبي في يدة حتى قبض ثم انتقل إلى أبي بكر ثم إلى عمر ومنه إلى عثمان وبعد ست سنوات من حكمه سقط من إصبعه في بئر (أريس) مقابل مسجد قباء فلم يعثر عليه(10).

رسائل الرسول صلي الله عليه وسلم

إن الباحث في مصادر التاريخ الإسلامي المعتمدة يجد أن هناك اختلافاً في توقيت إرسال تلك الرسائل فإن ابن سعد (ت230هـ) في طبقاته يشير إلى أن العلاء بن الحضرمي بعث بصدقات البحرين بعد موقعه بدر وأنه وصل البحرين بعد السنة الثانية للهجرة. وهناك رواية لابن سيده (ت 458هـ) تجعل رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم للبحرين بعد صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة والبعض يجعلون إرسال الرسالة الأولي في محرم من السنة السابعة وأن العلاء وصل إلى البحرين في صفر من نفس السنة بينما يتفق كل من ابن هشام (ت218هـ) والبلاذري (ت279هـ) والطبري (ت310هـ) على أن رسائل الرسول صلي الله عليه وسلم أرسلت للبحرين في السنة الثامنة للهجرة الموافق 630م. وهذا الاختلاف في التوقيت ينطبق على رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم الأخرى إلى عمان أيضاً وقد

اجتهد الكثير من ترتيب تلك الرسائل معتمدين على المناسبة التي أدت إلى إرسالها وما ورد في نصوصها ويكاد يتفق الكثير على أن أرجح عام هو (العام الثامن للهجرة الموافق 630م) إذ كان عام إرسال رسائل الرسول صلي الله عليه وسلم إلى أهل البحرين[11]. أي بعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة وذلك لأن الرسول صلي الله عليه وسلم تخلص من أعدائه في مكة وعظم صيته وزادت قوته حينئذ بدأ في توسيع نطاق الدعوة إلى أطراف الجزيرة ومن الصعب القول بأن الرسول صلي الله عليه وسلم بعث برسائله قبل الفتح خشية أن يستفز قريش فتجدد عداءها للمسلمين[12].

وأوفد الرسول صلي الله عليه وسلم (العلاء بن عبد الله الحضرمي) إلى البحرين وهو من أهل مكة ولد فيها وأسلم في بداية الدعوة وقيل أن أسلم قبل فتح مكة. وعدة بعض المؤرخين من كتاب الوحي، وكان فصيح اللسان اتخذه الرسول صلى الله عليه وسلم أميراً على البحرين ثم عاملاً لجمع الصدقات فيها فقد ولاه عليها في السنة الثامنة للهجرة النبوية الموافق عام 630م وأقره على ولاية البحرين أبو بكر ثم عمر رضي الله عنه وكان له موقف مهم في القضاء على الردة في البحرين. وعزله عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين عبر البحر بالجيش الإسلامي إلى دارين وقيل أن عمر ولاه على البصرة، وفي أثناء سفرة إليها توفي في الطريق وذلك في قرية من أرض تميم في عام 21هـ الموافق 642م[13].

أما حاكم البحرين أرسلت له أول رسالة من الرسول صلى الله عليه وسلم ببد العلاء فهو (المنذز بن ساوي العبدي التميمي) وينتسب إلى بنى دارم. وفي رواية أخرى أنه من قبيلة عبد القيس التي كانت تسكن تهامة ثم نزلت البحرين فزاحمت قبيلة بكر بن وائل وتميم وكان المنذر بن ساوي مستقلاً في البحرين وإسلامة وأتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم له أسباب أعمق وأبعد لأنه كان هناك أعمال بين النبي صلي الله عليه وسلم وبعض أهالي البحرين وفيهم من كان يدافع عن الإسلام في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ويتبين من كتاب الرسول صلي الله عليه وسلم إلى المنذر أنه ارتبط بالنبي لعوامل سياسية وذلك

للاحتفاظ بسلطته في البحرين بدليل أنه بقي في السلطة بعد إسلامه حتى وفاته 11هـ. أما عمال الرسول إلى البحرين فكان عملهم محدوداً في نطاق الأمور المالية ولم يكن لهم سلطان سياسي ولعله حاول نشر الإسلام في البحرين ووافق على دخول الجباة المرسلين من المدينة إليها وإرسال أموال الجباية إلى المدينة لتزيد من قوته(14). هذا إذا ما وضعنا في مقدمة الأسباب العامل الديني وهو قوة العقيدة الإسلامية وهذا رد على رأي (كايتاني) الذي يذكر أن انتشار الإسلام كان ضعيفاً في البحرين لأن المصادر تجمع على أن عرب البحرين دخلوا كلهم في الإسلام كما أن هناك علاقة قديمة بين الحجاز والبحرين عن طريق التجارة(15) ونحن معلم أن التجارة من وسائل نقل الحضارة ولما كان الدين مظهراً من مظاهر الحضارة لذا فقد نقل التجار الدين الإسلامي إلى أماكن انتشر فيها الإسلام دون حرب أو قتال.

يتفق المؤرخون والمحدثون وأصحاب السير على أن رسول الله صلي الله عليه وسلم أرسل رسائل إلى ملوك وأمراء عصره يدعوهم فيها للإسلام. ولكن تلك الرسائل لم تؤرخ لذا اجتهد البعض في ترتيبها وفقاً لمحتواها والمناسبة التي أرسلت لأجلها .فإن الرسالة الأولى التى أرسلها إلى (المنذر بن ساوي) في السنة الثامنة للهجرة الموافق في 630م وفيها عرض صلى الله عليه وسلم على المنذر الدعوة للإسلام ونقل الرسالة موفده (العلاء بن عبد الله الحضرمي) وأوصاه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى البحرين بقول:" إن أجابك فأقم حتى يأتيك أمري، وخذ الصدقة من أغنيائهم وردها إلى فقرائهم" فطلب العلاء من رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يكتب له كتاباً وهي الرسالة الأولى من بين الرسائل التي أرسلت للبحرين على ما ورد في معظم المصادر وهذا نصها(16).

بسم الله الرحمن الرحيم

"من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إليه إلا هو أما بعد فإني أدعوك إلى الإسلام فأسلم تسلم، وأسلم يجعل لك الله ما تحت يديك واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر. محمد رسول الله".

وفي مصادر أخرى ورد هذا النص لرسالة الرسول صلي الله عليه وسلم:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى

سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك إلى الإسلام فأسلم تسلم يجعل الله لك ما تحت يديك، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهي الخف والحافر".

هذه الرسالة القصيرة فيها الدعوة للإسلام فإن أسلم المنذر فإنه سيبقي على حكمه للبحرين ثم يذكره عليه الصلاة والسلام بأن الدين الإسلامي سوف ينتشر إلى أقصى البلاد.

فلما قرأ المنذر بن ساوي رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم دار حديث بينه وبين العلاء مبني على العقل والمنطق والحكمة والبصيرة(17) ومدح العلاء المنذر بقوله:

" يا منذر إنك عظيم العقل في الدنيا، فلا تقصرون عن الأخرة، إن هذه المجوسية شرد دين ينكح فيه ما يستحا من نكاحه، ويأكلون ما يتكره من أكله وتعبدون في الدنيا ناراً تأكلكم يوم القيامة وليست بعديم العقل ولا رأي، فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب في الدنيا أن لا نصدقه ولمن لا يخون أن لا نأتمنه، ولمن لا يخلف أن لا نثق به، فإن كل هذا هكذا، فهذا هو النبي الأمي الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يوق ليت ما أمرت به نهى عنه أو ما نهي عنه أمر به.

فلما انتهى من كلامه أجابه المنذر قائلاً:

قد نظرت في هذا الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الأخرة، ونظرت في دينكم فرأيته للأخر والدنيا فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ولقد عجبت أمس ممن- يقبلة- وعجبت اليوم ممن يرده وإن من أعظم من جاء به أن يعظم رسوله.

ثم أسلم المنذر بعدها، وهذا الكتاب يدل على أن المنذر أسلم بعد تمعن برسالة رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم يؤكد العلاء: بأن الدين الذي عليه المنذر وقومه هو من الشرك الذي لا يرضاه الله تعالى ولا عباده. وأن الدين الذي بشر به النبي الأمي، وهو الصادق الصدوق والأمين المؤتمن هو الدين الحق عندئذ اعتنق المنذر الإسلام عن قناعة ذاتية أكيدة وبقي محافظاً على إسلامه حتى توفي عام 11هـ وأسلم معه من أهل البحرين وبعض العرب والعجم[18]. أما من أورد أن الرسالة الأولى لحاكم البحرين المنذر بن ساوي والتي فيها ورد قوله صلي الله عليه وسلم:

" بأن رسلي قد أثنوا عليك..."[19]إنها لم تكن هي الرسالة الأولى لأنه ورد فيه أن الرسل أثنوا عليه وسوف نضع هذه الرسالة في مكانها المناسب. وعلى أثر ذلك أصدر صلي الله عليه وسلم أمراً إلى (الأكبر بن عبد القيس) ولعله المنذر بن ساوى أمرة بتعيين العلاء بن الحضرمي والياً من قبل رسول الله صلي الله عليه وسلم على البحرين. كما أمره بالالتزام بالعهد ودفع الزكاة وأن يكون أهل البحرين أعواناً على الظالم وأنصاراً في الملاحم ولهم ما للمسلمين من الفيء والعدل في الحكم والسيرة وكانت هذه الرسالة الثانية من الرسول صلي الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوي وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

"من محمد رسول الله إلى الأكبر بن عبد قيس:

إنهم أمنون بأمان الله ورسوله على ما أحدثوا في الجاهلية من القحم، وعليهم الوفاء بما عاهدوا ولهم أن لا يحسبوا عن طريقة الميرة ولا يمنعوا صوب القطر ولا يحرموا حريم الثمار عند بلوغه والعلا الحضرمي أمين رسول الله صلي الله عليه وسلم على برها وبحرها وحاضرها وسراياها وما خرج منها وأهل البحرين خفراؤه من الضيم وأعوانه على الظالم وأنصاره في الملاحم، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه لا يبدلوة قولاً، ولا يريدون فرقة، ولهم على جند المسلمين الشركة في الفيء، والعدل في الحكم والقصد في السيرة، حكم لا تبديل له في الفريقين كليهما، والله ورسوله يشهد عليهم"[20].

ثم أجاب المنذر لوسول الله صلي الله عليه وسلم بكتاب قال فيه:

" أما بعد يا رسول الله فإني قرأت كتابكم على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام ودخل فيه ومنهم من كرهه فلم يدخل فيه وبأرضي يوجد يهود ومجوس فأحدث إلى أمرك بذلك"[21].

وفي هذه الرسالة أن المنذر صدق وأسلم وأن من أهل البحرين من استجاب للدعوة ومنهم من لم يستجب ويطلب من رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يخبره عن موقفه تجاه المجوس واليهود في البحرين. فكتب الرسول صلي الله عليه وسلم إلى العلاء كتاباً هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

" أما بعد فإني قد بعثت إلى المنذر بن ساوي من يقضي منه ما اجتمع عنده من الجزية فعجله بها وابعث معها ما اجتمع عندك من الصدقة والعشور والسلام" كتبه أبي.

- وكاتب هذه الرسالة من كتاب الرسول صلي الله عليه وسلم وهو (أبي بن كعب الخزرجي الأنصاري) وفيها أن المنذر جمع الجزية ممن بقوا على دينهم كالمجوس واليهود والنصاري. أما (الصدقات والعشور) فقد قام العلاء بجمعها بأمر رسول الله صلي الله عليه وسلم. وأرسل العلاء ثمانين ألف درهم من البحرين والثابت أن رسول الله صلي الله عليه وسلم أرسل للمنذر جواباً بشأن المجوس واليهود في البحرين كما أرسل إلى مجوس هجر رسالة وقيل أنه أرسلها إلى المنذر بخصوص معالجة أمر مجوس هجر.[22]

وفي الرسالة الرابعة التي أرسلها صلي الله عليه وسلم إلى المنذر والتي اعتبرها البعض هي الرسالة الثالثة وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

"من محمد إلى منذر بن ساوي

سلم أنت. فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن كتابك جاءني وسمعت ما فيه، فمن صلي صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم ومن أبي فعليه الجزية".

وأورد أبو يوسف القاضي نص الرسالة وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

" من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي

سلام الله عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن كتابك جاءني وسمعت ما فيه، فمن صلي صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ما لنا، وعليه ما علينا.

ومن لم يفعل ذلك فعليه دينار من قيمة المعافري

والسلام ورحمة الله، يغفر الله لك"[23]

وفي هذه الرسالة الواجبات التي يجب أن يتصف بها المسلم كالصلاة واستقبال القبلة وأكل الذبيحة التى ذكر اسم الله عليها حين ذبحها من قبل المسلم. ومن لم يفعل ذلك فعليه أن يدفع الجزية. أما (أبو يوسف) فلم يذكر تحديد الجزية بدينار من قيمة المعافرى. وفي رسالة أخرى أنه فرض أربعة دراهم وعباءة ما نصه" وفرض على كل رجل ليس له أرض أربعة دراهم وعباءة"[24]

وإلى مجوس هجر أرسل الرسول صلي الله عليه وسلم رسالة يدعوهم إلى الإسلام وقد ذكرها البلاذري نقلاً عن الرواة وهذا نصها:

"فإن أسلموا فلهم مالنا وعليهم ما علينا فإن أبي فعليه الجزية في غير أكل لذبائحهم ولا نكاح لنسائهم".

أما الاتفاقية التي عقدت بين العلاء بن الحضرمي وأهل البحرين وفيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا ما صالح عليه العلاء بن الحضرمي وأهل البحرين. صالحهم على أن يكفونا العمل ويقاسمونا التمر فمن لم يف فعليه لعنه الله والملائكة والناس أجمعين وأما جزية الرؤوس فإنه أخذ لها من كل حالم ديناراً)[25]. هذه الاتفاقية قد تكون لاحقة لرسائل أخرى من رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى المنذر وإلى بقية حكام أهل البحرين.

وقد أرسل صلي الله عليه وسلم رسالة إلى أهل هجر بعد أن أسلموا وفيها أن اختلافاً وقع بينهم فاتجه وفد منهم إلى الرسول صلي الله عليه وسلم وأنه أرضاهم وقد وردت هذه الرسالة بصيغتين الأولي:

بسم الله الرحمن الرحيم

" من محمد النبي إلى أهل هجر

سلم أنتم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإني أوصيكم بالله وبأنفسكم ألا تضلوا بعد إذ هديتم ولا تغووا بعد إذ رشدتم، أما بعد فإنه قد أتاني الذي صنعتم وإنه من يحسن منكم لا يحمل عليه ذنب المسيئ، فإذا جاءكم أمرائي فأطيعوهم وانصروهم وأعينوهم على أمر الله وفي سبيله، فإنه من يعمل منكم عملاً صالحاً فلن يضل له عند الله وعندي، وأما بعد فقد جاءني وفدكم فلم أت إليهم إلا ما سرهم وإني لو جهدت حقي فيكم كله لأخرجتكم من هجر فشفعت غائبكم وأفضلت على شاهدكم فاذكروا نعمة الله عليكم"(26).

ووردت صيغة هذه الرسالة عند ابن سعد هكذا:

بسم الله الرحمن الرحيم

" من محمد النبي رسول الله إلى أهل هجر

سلم أنتم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإني أوصيكم بالله وبأنفسكم، أن لا تضلوا بعد إذ هديتم، وأن لا تغووا بعد إذ رشدتم أما بعد، فقد جاءني وفدكم، فلم أت إليهم إلا ما سرهم وإني لو جهدت حقي فيكم كله أخرجتكم من هجر، فشفعت غائبكم، وأفضلت على شاهدكم فاذكروا نعمة الله عليكم، أما بعد فقد أتاني الذي صنعتم وأنه من يحسن منكم لا يحمل عليه ذنب

المسيئ. فإذا جاءكم أمرائي فأطيعوهم، وانصروهم على أمر الله وفي سبيلة فإنه من يعمل منكم عملاً صالحاً، فلن يضل له عند الله ولا عندي"(27).

وفي رسالة بعث بها رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى أهل هجر بصيغتين أيضاً إحداهما قوله صلي الله عليه وسلم.

"أما بعد فإن رسلي قد حمدوك وأنك مهما تصلح أصلح إليك وأثبتك على عملك وتنصح لله ولرسوله والسلام عليك"

والصيغة الثانية هي:

بسم الله الرحمن الرحيم

" من محمد رسول الله إلى أهل هجر، سلم أنتم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني أوصيكم بالله وأنفسكم أن لا تضلوا بعد إذ هديتم، ولا تغووا بعد إذ رشدتم أما بعد ذلكم فإنه قد جاءني وفدكم فلم أت فيهم إلا ما سرهم، وإني لو جهت حقي كله فيكم أخرجتكم من هجر، فشفعت شاهدكم ومننت على غائبكم. اذكروا نعمة الله عليكم، أما بعد فقد أتاني ما صنعتم وإن من يحمل منكم لا يحمل عليه ذنب المسيئ، فإذا جاءكم أمراؤكم فأطيعوها وانصروهم على أمر الله وفي سبيله، فإن من يعمل عملاً صالحاً فلن يضل له عند الله ولا عندي. أما بعد يا منذر بن ساوي، فقد حمدك لي رسولي. وأنا إن شاء الله مثيبك على عملك".

وجميع هذه الصيغ تدل على أن ردة حدثت في المنطقة كما يتضح ذلك من قوله صلي الله عليه وسلم" أن لا تضلوا بعد إذ هديتم ولا تغووا بعد إذ رشدتم". وأن فتنة الردة هذه أدت إلى إقصاء بعض الحكام بعد أن توجه وفد من البحرين إلى المدينة المنورة وقابلوا رسول الله صلي الله عليه وسلم وأنهم سمعوا

منه ما يسرهم. وذكر الواقدي أن الرسول صلي الله عليه وسلم كتب إلى العلاء بن الحضرمي أن يأتيه بعشرين رجلاً من عبد القيس فجاء إليه ومعه عشرون رجلاً وعلى رأسهم عبد الله بن عوف بن الأشج فشكا الوفد العلاء فعزلة الرسول صلي الله عليه وسلم وولى (أبان بن سعيد بن العاص) وقال له:" استوص بعبد القيس خيراً وأكرم سراتهم"[28]. وقيل أن العلاء عاد إلى المدينة المنورة بعد أن أنهيت خدماته، وفي قول أنه بقي والياً على منطقة في البحرين بينما أصبح (أبان) حاكماً على منطقة الخط. ويذكر البلاذري أن أهل البحرين طلبوا العلاء لحرب المرتدين فعاد للبحرين وقضى على الردة هناك. أما المنذر فقد بقي وقاوم الفتنة فأرسل له الرسول صلي الله عليه وسلم رسالة فجعلها البعض الأولى في ترتيب الرسائل المرسلة إلى المنذر ومنهم من اعتبرها الثانية. بينما اجتهد أخرون فجعلوها السابعة أو ما قبل الأخيرة وهذا نصها[29].

بسم الله الرحمن الرحيم

" من محمد رسول الله، إلى المنذر بن ساوي سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك فارترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن علمك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية".

في هذه الرسالة يحث الرسول صلي الله عليه وسلم أهل البحرين على طاعة رسلة الذين أرسلهم إلى هناك ويذكر عليه الصلاة والسلام أنهم أثنوا على المنذر خيراً عندئذ شفعه في قومه كما أنه طلب من المنذر أن يقبل من المتمردين العفو لأنه صلي الله عليه وسلم قد عفا عن أهل الذنوب وأن لا يتعرض لليهود

والمجوس الذين أقاموا على دينهم بل يأخذ منهم الجزية. وفي الرسالة التي تتكون من مائة كلمة بها فيها خاتم النبي صلي الله عليه وسلم كتبت في عشرة أسطر وجاء فيها كلمة (أذكرك) كتبت هكذار (أذكر) في السطر الرابع و(ك) في السطر الخامس كما كتبت كلمة (رسلي) على النحو التالي:

كتب حرف (ر) في السطر الخامس وكلة (سلي) في السطر السادس[30] وأن هذه الرسالة تم العثور عليها مكتوبة على مخطوط جلدي يحتمل أن تكون أصل الرسالة النبوية إلى المنذر بن ساوي نشر عنها الدكتور (بوش) الألماني مقالاً في مجلة المستشرقين الألمان في عام 1863م[31] ولما كان نص هذه الرسالة قد ورد في مصادر التاريخ المعتمدة لذا فقد اعتمدها المحققون. والواقع أن هذه الرسالة أرسلها الرسول صلي الله عليه وسلم إلى المنذر بعد فتنه الردة وعزل العلاء بن الحضرمي وفيها يحث أهل البحرين على إطاعة رسله الذين أرسلهم إليهم كما يذكر أن رسله أثنوا على المنذر خيراً وبذا شفعه في قومه وطلب منه أن يعفو عنه المتمردين وأن يترك للمسلمين ممتلكاتهم وأكد على أن المجوس واليهود الذين لم يدخلوا في الإسلام الجزية. فإما فرض الجزية على مجوس هجر فقد نزلت فيه الأية الكريمة" يا أيها الذين أمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذ اهتديتم"[32] وحول فرض الجزية على مجوس فارس فقد أشار عبد الرحمن بن عوف على الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلي الله علية وسلم يقول" سنوا بهم سنة أهل الكتاب " ففرضت الجزية على أهل السواد[33] وكانت أخر رسالة إلى المنذر هي:

" إلى المنذر بن ساوي أما بعد: فإني قد بعثت إليك قدامه وأبي هريرة فادفع إليهما ما اجتمع عندك من جزية أرضك والسلام" كتب أبي.

وقد أرسها صلي الله عليه وسلم بيد قدامه بن مظعون ومعه أبو هريرة. ويلاحظ أن الجزية على الأرض والمعلوم أنها على الرؤوس من أهل الكتاب ومن المحتمل أنها تعني الجزية على أهل الأرض. وكان أول خراج دخل المدينة المنورة هو خراج أهل البحرين ومقدارة سبعون ألف درهم وقيل ثمانون ألف درهم[34].

ومن الرسائل التي أرسلها الرسول صلي الله عليه وسلم إلى أهل البحرين رسالة إلى (الهلال صاحب البحرين) وفيها:

"سلم أنت فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو لا شريك له وأدعوك لله وحده. تؤمن بالله وتطيع وتدخل في الجماعة فإنه خير لك والسلام على من اتبع الهدى"[35].

وأرسل رسول الله صلي الله عليه وسلم رسالة إلى (سيبخت) مزربان هجر أي الحاكم في هجر رداً على رسالته فجعله الرسول يشفع في قومة أي جعل له السلطة الإدارية في قومه الذين سماهم رسول الله صلي الله عليه وسلم (بني عبد الله) وليس لدينا معلومات عنه وإنما أرسل الرسالة إليه بيد الأقرع التميمي والذي جعله عاملاً للصدقة وقد أقنع الأقرع قومه من بني تميم للدخول في الإسلام بعد أن اتجه وفد منهم إلى الرسول صلي الله عليه وسلم وأسلموا. وإليه هذه الرسالة إلى سيبخت صاحب هجر والتي أوردها ابن سعد بقوله:

" إلى سيبخت بن عبد الله صاحب هجر

إنه قد جاءني الأقرع بكتابك وشفاعتك لقومك، وإني قد شفعتك وصدقت رسولك الأقرع في قومك، فأبشر فيما سألتني بالذي تحب ولكني نظرت أن أعلمه فتلقاني، فإن جئتنا أكرمك، وإن تقعد أكرمك.

أما بعد فإني لا أستهدي أحداً، فإن تهد إلى أقبل هديتك وقد حمد عمالي مكانك وأوصيك بأحسن الذي أنت عليه من الصلاة والزكاة وقرابة المؤمنين وأني قد سميت قومك بني عبد الله فمرهم بالصلاة و بأحسن العمل وأبشر، والسلام عليك وعلى قومك المؤمنين".

وفي رسالة أخرى إلى أهل البحرين بأن لهم ما أسلموا عليه إن أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة ولم يمسجوا أولادهم وعليهم وهدم وتخريب بيوت النار وإن وجد فيها مال أو ذهب فيجب أن يجعل ذلك لله ورسولة وإليك نص الرسالة:

" أما بعد فإنكم أقمتم الصلاة، وأتيتم الزكاة لله ونصحتم ورسوله، وأتيتم عشر النخل ونصف عشر الحب ولم تمسجوا أولادكم فلكم ما أسلمتم عليه، غير أن بيت النار لله ورسوله، وإن أبيتم فعليكم الجزية"(36)

أما الرسالة التالية والأخيرة فربما أنها أرسلت مع وفد الجارود ويتضح منها أن اتفاقاً تم بين الرسول صلي الله عليه وسلم وقبيلة عبد القيس في البحرين وما حولها إذا أسلموا وأطاعوا الله ورسوله وأقاموا أركان الدين والعدل بينهم وعليهم أخذ الصدقات من أغنيائهم إلى فقرائهم وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

" هذا كتاب من محمد رسول الله لعبد القيس وحاشيتها من البحرين وما حولها، إنكم أتيتموني مسلمين، مؤمنين بالله ورسوله، وعاهدتم على دينه فقبلت على أن تطيعوا الله ورسوله فيما أحببتم وكرهتم، وتقيموا الصلاة وتؤدوا الزكاة وتحجوا البيت وتصوموا رمضان، وكونوا قائمين لله بالقسط ولو على أنفسكم، وعلى أن تؤخذ من حواشي أموال أغنيائكم فترد على فقرائكم، على فريضة الله ورسولة في أموال المسلمين" (37).

دخلت البحرين في الإسلام في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم دون قتال [38] حين بعث عليه الصلاة والسلام موفده وسفيره (العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدي ومعه رسالة يدعوه فيها إلى الإسلام فأسلم المنذز ومعه أسلم العرب وبعض العجم[39].

وكان قبول أهل البحرين الدعوة الإسلامية دون أية معارضة يدل على النضوج الفكري ثم النزعة للتخلص من الوثنية التي شاخت وهرمت، والمجوسية المقتية والتخلف العقائدي، ولا شك أن اعتناق أهل البحرين للإسلام نتيجة لما تتمتع به البحرين من حضارة ورثتها منذ القدم واستقلال يدل على سرعة اعتناق حاكمها وعربها للعقيدة الإسلامية. والمتتبع للرسائل التي بعث بها رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى البحرين يجد أن المنذر أسلم وبعض أهل قومة وخاصة عربهم دون استشارة أو تأخر ثم طلب من رسول الله أن يعلمه موقفه من المجوس واليهود في بلادة فلو أنه كان تحت نفوذ الفرس- كما ذكر البلاذري – لما حدث أن أسلم دون الحصول على إذن منهم. ثم إن من بين الرسائل التي بعثها الرسول صلي الله عليه وسلم رسالة أرسلها إلى (سيبخت) الفارسي الذي كان يحكم منطقة صغيرة في البحرين ولم يكن مجوسياً وقد أسلم وقومه معه. ومن هنام نسطتيع القول بأن سيبخت لم يكن والياً أو متولياً من قبل الفرس ولا مرتبطاً بحكومتهم بدليل أنه أسلم هو الأخر ومعه قومة فور استلامه رسالة النبي (ص) فلو أنه كلن تحت نفوذ فارس أو أن له صلة بهم لاستشارهم[40].

خاصة وأن الوهن والهرم قد دب في (الدولة الساسانية) التي كانت دولة عسكرية اهتمت بالتوسع على حساب الشعوب الضعيفة واتخذت الديانة الزرادشتية المجوسية ديناً رسمياً للدولة إلا ما كان في عهد كسري (قباذ) الذي فرض المزدكية الإباحية حتى في بعض البلاد المجاورة، وكان الانقسام الديني قد أدي إلى انقسام سياسي.

وساد الإقطاع في الدولة إذ تسيطر الطبقة الأرستقراطية على البلاد ومنهم ذوو البيوتات الستة الذين كثيراً ما يرأون أقاليمهم ويدافعون عن إقطاعياتهم، وأما الحكام وهم الشاهات وعددهم نحو خمسة عشر شاهاً فإن لهم الحكم في الدولة، وهناك الأمراء ويسمون (البرزكان) فلهم امتيازات ويتمتعون بالنفوذ المالي وكثيراً ما كان كسرى الفرس يعفيهم من الضرائب، ويليهم الفرسان وهم من الأشراف- أما بقية الشعب فهم المزارعون والعمال ويشكلون معظم السكان ولكن لاشيئ لهم من الامتيازات والحقوق وجلهم من الفرس والعرب والأنباط والأكراد والأتراك وأغلبهم يعاملون كرقيق الأرض وهم في مستوي معاشي ضعيف يباعون مع الأرض أو أنهم ليس لهم الحق في ترك أراضيهم علاوة على ما عليهم من ضرائب باهظة. وأهم الضرائب الخراج وتساوي نصف المحصول ثم ضريبة النوروز (ومعني النوروز اليوم الجديد من الربيع) والمهرجان وهي ضريبة تدفع في يوم ذكرى تتويج كسرى الفرس. وضريبة الموائد وأجور القراطيس والصرافين والنقل والجسور والطرق والسدود وغيرها مع التعسف الشديد من قبل الجباة، كل هذا وذاك من عوامل التذمر، فإذا ما جاء المسلمون وهم يحملون عقيدة إنسانية في جوهرها العدالة الاجتماعية والمساواة والحرية فكان ذلك من عوامل قبول العقيدة الإسلامية، ثم تباين القوميات المكونة لإمبراطورية الفرس وكذلك تعدد اللغات والديانات والاختلاف الجنسي في العناصر أدى إلى اختلاف في الأهداف وانقسام سياسي وهذا سبب ضعف في الدولة وبالتالي ساعد على انتشار الإسلام.

ومن العوامل التي أضعفت الفرس والروم على السواء حروبهم المستمرة مما أدى إلى فرضهم ضرائب باهظة لسد تكاليف الحروب علاوة على الخلافات في البيت الكسروي على العرش فقد قتل شيروته والده أبرويز وجميع إخوته وبعده جاءت بوران أخته. فأدي تدخل النساء في الحكم وانتشار الدسائس وغيرها إلى أضعاف الدولة الفارسية وكانت من العوامل التي ساعدت على قبول الإسلام دين السلام والحرية

والعدالة الاجتماعية. ومن هذا العرض للأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية في بلاد الفرس وقتئذ يثبت أنه لم يوجد لدولة الفرس نفوذ على البحرين لأنها في حالة ضعف وتدهور.

د. على أباحسين

الهوامش

1- مسلم، صحيح مسلم جـ 3، ص391 بشرح النووي (باب الجهاد)؛ ود. عز الدين إبراهيم، الدراسات المتعلقة برسائل النبي، المؤرخ العربي 1983/340/23م.

2- أحمد بن حنبل، المسند 262/1 و 74/4و 75؛ وأبوداود، حديث 4214؛ والنسائس جـ 8 ص174؛ وابن ماجه، حديث 3640/3639؛ وابن سعد، الطبقات 258/1 وما بعدها؛ وابن كثير، السيرة جـ 494/3؛ والطبري، تاريخه 1559/3؛ وانظر محمد حميد الله، الوثائق السياسية، ص11و 74 ؛ والقلقشندي، صبح الأعشي 377/6؛ وابن سيد الناس، عيون الأثر، 259/2و 270؛ والحلبي، السيرة الحلبية 55/3-90؛ وأبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، ص333-254؛ والمؤرخ العربي 242/23-243.

3- وليام ميور، حياة محمد، ص354-357؛ وليون كايتاني ، حوليات الإسلام، 725/1؛ ومرجوليوت، محمد، ص364.

4- توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام ص83.

5- نولوكه، دبلوماسية محمد، ص83.

6- ابن هشام، سيرة ابن هشام، 254/4-255 تحقيق السقا؛ والمؤرخ العربي، العدد 23/ ص245.

7- ابن خلدون، المقدمة.

8- أبو الحسن الندوي، السيرة، ص333؛ والدراسات المتعلقة برسائل الرسول، ص252.

9- الوثيقة 15/5.

10- الوثيقة، 41/1.

11- فالح حنظل، رسائل الرسول، ص49و 50 و 57؛الكتور عون الشريف قاسم نشأة الدولة الإسلامية، ص77؛ والوثيقة 14/6؛ والوثيقة 12/5.

12- البحرين في صدر الإسلام، ص101.

13- الوثيقة، 43/1و 49؛ ورسائل الرسول، ص57؛ والوثيقة 53/4و 14/6.

14- البحرين في صدر الإسلام، ص102.

15- ياقوت، ص508؛ والبلاذري 78؛ والبحرين في صدر الإسلام، ص103.

16- مجموعة الوثائق السياسية والخلافة، ص79-80؛ ورساءل الرسول، ص57-58؛ والوثيقة، 12/5 و 13/6 حيث وردت كلمة (يديك) كما وردت في مصادر أخرى (يدك).

17- الوثيقة، 14/6؛ ورسائل الرسول وموفده، ص57؛ ابن طولون، أعلام السائلين، ص141.

18- ن.م.س./ ص58-60.

19- الوثيقة، 46/1.

20- طبقات ابن سعد 283؛ ورسائل الرسول وموفده، ص59؛ والوثيقة 14/6.

21- ن.م.س، ص60.

22- فتوح البلدان، ص92؛ والوثيقة 14/5؛ ورسائل الرسول، ص60-61؛ وفي الوثيقة 19/6 أورد نص الرسالة كالتالي:" أما بعد فإني بعثت إلى المنذر بن ساوي من يقبض منه ما اجتمع عنده من الجزية فعجله وابعث ما اجتمع عندك من الصدقة والعشور والسلام". (وكتب أبي بن كعب)

23- فتوح البلدان، ص91؛ رسائل الرسول، ص63؛ والوثيقة 13/5 و14؛ وفي الوثيقة 18/6 اعتبرت الرسالة الثالثة؛ وأبو يوسف القاضي، الخراج، ص131.

24- الوثيقة، 18/6.

25- فتوح البلدان، ص91؛ حالم: بلغ الحلم والرشد؛ رسائل الرسول موفدوه، ص64؛ والوثيقة 16/6.

26- رسائل الرسول، ص65؛ والوثيقة 13/5 وفيها وردت كلمة (عندي) بدلا من (أتاني). كما أن (لو) لم ترد في الوثيقة13/5، أما العدد 6/ صفحة 16 فلم ترد فيه الرسالة أصلاً.

27- ن.م.س/ص66؛ وفي الوثيقة بعددها الخامس/ ص13و 14 لم يذكر (لا) فيجملة (وأن لا تغووا) كما وردت (أجمل) بدلاً من (يحمل)، وحذف (لن) يضل، وحذف (له) عند الله.

28- الطبقات الكبري- 11/2؛ ورسائل الرسول، ص68.

29- الوثيقة 43/1و 13/5و 17/6.

30- الوثيقة 43/1؛ ورسائل الرسول وموفدوه، ص50.

31- بـوش، المستشـرقون الألمـان، ج17؛ والمـؤرخ العـربي، 23/ ص256؛ ورسـائل الرسـول وموفدوه/ ص69و 70.

32- فتوح البلدان، ص90؛ وسورة المائدة/ أية 5؛ ورسائل الرسول ص71.

33- رسائل الرسول ص61 و72؛ والوثيقة 49/1و 14/5و 19/6.

34- ابن سعد، الطبقات الكبرى ، ج/ص؛ ورسائل الرسول وموفدوه، ص73،

35- ابن سعد، الطبقات الكبري ج/ص؛ ورسائل الرسول وموفدوة ص73.

36- فتوح البلدان، ص79؛ ورسائل الرسول ص80.

37- رسائل الرسول، ص81.

38- ابـن سعد، الطبقـات الكـبري، 76/2؛ والبكـرى، معجـم مـا استعجم، ص130و 228و 565؛ ود. النجم، البحرين في صدر الإسلام، ص101.

39- البلاذري، فتـوح البلـدان، 78و 80؛ وياقـوت، معجـم البلـدان، 509/1؛ والبحـرين في صدر الإسلام، ص101.

40- فتـوح البلـدان، ص89؛ وفـالح حنظـل، رسـائل الرسـول وموفـدوه ص55و 56؛ والوثيقـة 12/6.